

HUBB

AL-ISLAM WA-AL-MUSLIMUN

[illegible]

2271
.376
.349

Hubb'o

<u>DATE ISSUED</u>	<u>DATE DUE</u>	<u>DATE ISSUED</u>	<u>DATE DUE</u>
--------------------	-----------------	--------------------	-----------------

[illegible]

الاسلام والمسلمون

في

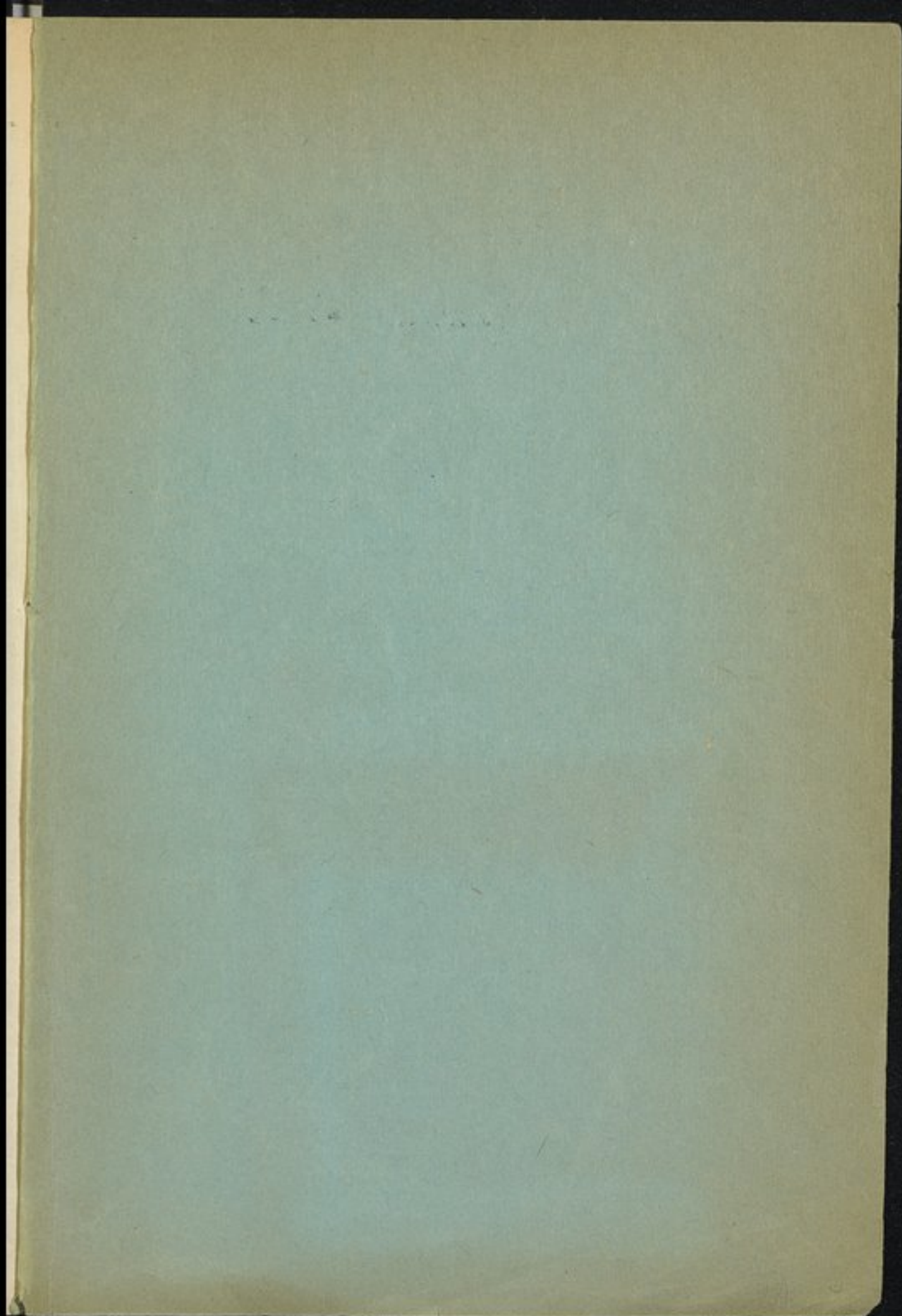
أفريقيا الجنوبية

تقرير

للدكتور محمود عبد الله

مبعوث الأزهر إلى أفريقيا الجنوبية

وأستاذ الأخلاق وعلم النفس بكلية أصول الدين



Ḥubb Allāh, Maḥmūd
"

الاسلام والمسلمون

في

al-Islām

أفريقيا الجنوبية

تقرير

للمكنور محمود حب الله

مبعوث الازهر إلى أفريقيا الجنوبية

وأستاذ الأخلاق وعلم النفس بكلية أصول الدين

مطبعة الازهر

12-1-61 6:50

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . وبعد :

فهذا موجز يصف أحوال الإسلام والمسلمين في أفريقيا الجنوبية ، ويقترح من العلاج ما يساعدهم على النهوض بمستواهم الثقافي في كل من الدراسات المدنية والدينية والعربية ، ويؤدي في النهاية إلى النهوض بمستواهم الأدبي والسياسي كذلك .

وهو نتيجة ملاحظات دقيقة ، ودراسات مغلصة ، ومشاهدات شخصية ، وسماع من مصادر مختلفة يندر ، بحكم العادة ، أن تتواطأ كلها على الكذب .

وعلى الرغم من أن المدة التي قضيتها هناك مدة قصيرة لا تسمح بدراسات مستقصية ، فقد كفت لتعرف الحياة ، على وجه عام ، واستخلاص صورة صادقة تمثل ما هنالك تمثيلاً صحيحاً .

ولقد ساعدتني الظروف على الاتصال بطبقات مختلفة من السكان - من المسلمين وغير المسلمين ، ومن رجال التعليم والسياسة والاقتصاد . لذلك يمكن أن أقول ان تقريرى هذا ليس تصويراً لوجهة نظر المسلمين لحسب ، ولكنه صورة لواقع يمكن أن يشاهده كل من يحاول أن يرى ويدرس من غير أن يتحيز لهذا الجانب أو ذاك .

وأود ، قبل الخوض في الموضوع الخاص ، أن أشير إشارة عابرة إلى بلاد أفريقيا الجنوبية وإلى سكانها وأوضاعها العامة ، الطبيعية وغير الطبيعية على السواء .

وصف عام للبلاد

يطلق على تلك البلاد « اتحاد أفريقيا الجنوبية » . وهو واقع في الطرف الجنوبي من القارة الافريقية . وهو بلد مستقل وعضو في مجموعة الأمم البريطانية المتحدة . ويتكون من أربع ولايات : ولاية الكاب ، وولاية الترنسفال ، وولاية الناتال ، وولاية البرتقال الحرة . وتبلغ مساحة هذه الولايات الأربع ٤٧٢٠٥٠ ميلا مربعا .

ويوجد في وسط الاتحاد وفي طرفيه الشرقي والغربي ثلاث ولايات أخرى ، يسكنها وطنيون غير الوطنيين المقيمين في الاتحاد : هي « سوازيلاند » و « بسوتولاند » و « بشونالاند » . غير أنها تحت السلطة البريطانية ، ويتولى شئونها العامة المقيم العام الانجليزي قبل حكومة الاتحاد .

وتتمتع البلاد على وجه عام بالرخاء ، وبكثير من المزايا الطبيعية والاقتصادية ، التي تتيح لها فرصة طيبة في الحياة . فجوها معتدل في الصيف والشتاء ، ويحيط بها من الشرق والغرب والجنوب المحيط الهندي والمحيط الاطلنطيقي ، ويتخللها كثير من الوديان والتلال والجبال والغابات والسهول ، وينزل فيها كثير من الامطار . لذلك كانت تربتها خضراء في أكثر أيام العام . ولذلك أيضا نمت فيها الثروة الحيوانية والزراعية ، وكثرت فيها الابقار والاغنام ، وتوافرت فيها الاصواف والالبان ، والمحاصلات الزراعية : من القمح والشعير والاذرة وقصب السكر والتبغ وجميع أنواع الخضضر والفواكه .

وهيأت لها سواحلها الطويلة من الموانئ البحرية ما جعلها مركزا كبيرا للتجارة ، على الرغم من بعدها الشاسع عن البلاد الكبرى في العالم ، وما وفر عليها الكثير من الاسماك ومن الثروة البحرية .

وفيه من الثروة الطبيعية والمعدنية الشيء الكثير : ففيها الذهب والفضة ، وفيها النحاس والقصدير والحديد ، وفيها الفحم والخشب ، بل فيها أجود أنواع الخشب ، وفيها البلاتينوم ، وفيها الماس ، وفيها من كل ذلك وغيره الشيء الكثير .

وليست البلاد في حاجة لأن ترسل هذه المواد الخام إلى الخارج لتحويلها إلى مواد يفتق بها الإنسان ، لأن لديها من المصانع والمعامل ما يؤدي تلك المهمة . فهي ، في هذه الناحية ، مستقلة كل الاستقلال عن العالم الخارجي .

وترتبط البلاد الداخلية بعضها ببعض بشبكة كبرى من الطرق الزراعية المعبدة ، والمواصلات البرية والبحرية والجوية ؛ ولذا كان الانتقال فيها سهلا ميسورا لكل إنسان .

وأما مستوى المعيشة فيها فهو ، على وجه عام ، أعلى منه في مصر . وحاجياتها متوفرة ، غير أن أثمانها أعلى منها في مصر ، لذا استثنينا أنواع الفاكهة ، فهذه أقل منها في مصر بكثير . ويوجد هناك كثير من الأغنياء الذين يملكون الملايين في التجارة والصناعة والزراعة .

سكان البلاد

تختلف وجهات النظر في تحديد من هم السكان الاصليون لهذه البلاد ؟ ، . فيرى الوطنيون — ذوا البشرة السوداء — ومن هذا حذوهم أنهم السكان الاصليون لهذه البلاد ، وأن غيرهم دخيل وطاريء ، وأن الدماء التي أريقت ، والحروب التي أثرت بينهم وبين الرجل الأبيض كانت دفاع الوطني عن وطنه ضد الدخيل الغاصب ، وأن النزاع الذي لا يزال قائما بينه وبين الحاكم الأبيض

ليس إلا استمراراً لهذا الكفاح الذى بدأ فى القرن السابع عشر حين نزل الرجل الأبيض هذه البلاد وحاول السيطرة عليها .

ولكن يقول الرجل الأبيض من السكان ومن هذا حذوه ان البيض ليسوا غاصبين أو مختصبين لهذه البلاد ، فقد نزلوها فى القرن السابع عشر فوجدوها قاعاً صفصفاً ، وخالية من السكان . ولما استقر بهم المقام ، ورغبوا فى تعمير الأجزاء الداخلة فى البلاد ، وزحفوا نحو الشمال التقوا فى زحفهم بجماعات الزوج الزاحفة من ناحية خط الاستواء وأواسط أفريقيا متجهة صوب الجنوب : نحو المحيط الهندى والأطلسنطيقى . فالتقت الجماعات الزاحفة — الأبيض نحو الشمال والأسود نحو الجنوب — فى مكان ما فى الداخل ، ووقعت بينها معارك ومذابح انتهت بتغلب الرجل الأبيض وخضوع الأسود له .

وسواء أصبح هذا القول أم ذاك ، فلا شك فى وجود هذين العنصرين هناك . غير أن الغلبة ، من حيث العدد ، فى جانب الرجل الأسود ، وأن السلطان والتسلط فى جانب الرجل الأبيض .

فالبعض يحكم البلاد وأمرؤها ، وأرباب التشريع والتنفيذ فيها . وهم أرباب الإقطاعيات الزراعية الكبرى ، وأرباب الصناعات ، ويدهم كل الأعمال الفنية والميكانيكية . وهم أرباب الثروات المعدنية ، وكل ثروة ذات أهمية فى البلاد .

وأما الوطنيون فهم الخدم والعمال ، وهم أرباب المهن الحقة والحرف المبتذلة ؛ ويتجاوز عددهم تسعة ملايين من النفوس . وأما الأوربيون فلا يزيد عددهم عن مليونين ونصف المليون .

ويوجد بجانب هذين العنصرين عنصران آخران يقيمان فى تلك البلاد من زمن بعيد : هما الملونون ، والآسيويون . فالأولون هم الذين جاءوا نتيجة

للاتصال بين الرجل الأبيض وغيره ، فيبينهم وبين الرجل الأبيض قرابة ، لأنهم أبناء عمومة . ولكن لا يعترف لهم بهذا الحق ، بل يخضعون ، مع قليل من الرحمة ، للقيود التي يخضع لها غير الأوربي ، والتي تميز بين الأجناس المختلفة ، وتجعلهم خاضعين للرجل الأبيض وأقل منه في الحقوق والامتيازات . فكانهم جنس مستقل بنفسه ، في حين أنهم ليسوا في الواقع كذلك . وهؤلاء يقاربون المليون .

وأما الآسيويون فهم الذين نزحوا لهذه البلاد من قارة آسيا ، سواء أكانوا من الهنود أم من الصين أم من اليابان أم من غيرها من بلاد آسيا . وعدد هؤلاء يزيد قليلا على ثلثمائة ألف من الأشخاص .

هذا ، ولكل طائفة من هذه الطوائف تشريع خاص بها ، وهي كلها ، على وجه عام ، ومن ناحية التشريع والتنفيذ وقوانين التملك ، في جانب ، والأوربي ومن في حكمه في جانب آخر . فالأبيض هو السيد ، وهو الحاكم ، وهو المشرع ، وهو المنفذ لما يشرع ، وليس لغيره حق في شيء من ذلك . فليس له الحق في أن ينتخب أحداً ، وليس له الحق في أن ينتخب كذلك ، اللهم إلا في المجالس البلدية وفي بعض الولايات محسب . وسيسحب هذا الحق قريباً . ولا يشغل واحد منهم عملاً حكومياً إلا عند الضرورة القصوى بشرط أن يكون عملاً غير فني ، وكذلك الشأن بالنسبة للمصانع والمعامل والمناجم . ولا يدخل واحد منهم الفنادق المعدة للبيض أو مطاعمهم أو مرافقهم العامة ، وتجدر في قاعات القضاء والمحطات والإدارات الحكومية والمرافق العامة مكاناً للبيض وباباً لدخول الأبيض ، وآخر لغير الأبيض ، ولو خالف واستعمل باب الأبيض أو مكانه لعوقب قانوناً لمخالفته قانون قواعد (الآداب العامة . إذ تسمى فعلته هذه "Immorality act" ، عملاً مخالفاً للآداب .

وعلى الرغم من صرامة تلك القوانين وشديتها ، فيبدو أن الرجل الأبيض لم يرها كافية لحصانته وللاحتفاظ بكرامته وبمركزه القوي في البلاد ، فأصدر تشريعاً

جديداً "Group area act" ، يقصد منه حصر كل جنس من الاجناس المختلفة في مكان خاص لا يتعداه ، يكون مقراً لعمله ولسكنه . فسيكون الهنود في مكان ، والملايويون في مكان آخر ، والصينيون في ثالث ، واليابانيون في رابع ، والوطنيون في خامس ، وهكذا . ويخشى الكثيرون أن يصبح هذا القانون عند تنفيذه أداة تقسم ظهر أرباب الثراء من هذه الطوائف غير الاوربية ، فيصبحون بين يوم وليلة فقراء أو أشباه الفقراء .

تلك القوانين الصارمة ، وهذه التفرقة بين الاجناس في القطر الواحد ، ضاعفت الهوة بين الطوائف المختلفة ، وجعلت ميول كل واحدة منها مركزة نحو طائفتها لانحور الجماعة العامة ، بل قوت الروح الفردية عند كل فرد وعند كل طائفة . فأصبح الهدف لكل فرد تحسين حالته الفردية أو حالة طائفته على خير التقدير . وغدت البلاد في نظره كسوق يتصده للبغيم والكسب والتجارة ، لا كوطن دائم يربط به مصير نفسه ، ويعمل على تقويته والنهوض به واسعاده .

تلك حالة يرثى لها في بلد نرجو له كل خير . وقد قابلت كثيراً من الاوربيين هناك ، فوجدته يشاركني في هذا الرأي ، ويرثى لتلك الحالة التي عجزت عن أي توجد وحدة من الشعور بين أبناء الوطن الواحد ، أو التي عملت على إيجاد شعور متباين بينهم ، وفرقتهم شيعاً وطوائف .

ويبدو أن عامل الخوف هو سبب كل المشاكل التي تعانيها هذه البلاد . فللرجل الأبيض مستوى خاص في الحياة ، وله مركزه الخاص ، ويبغى الأمن والطمأنينة والعيش الرغد ؛ ولكنه ، من ناحية العدد ، أقل من ربع السكان . وذلك ، في ظنه ، قد يفرى الاكثرية به . فدعاه عامل الخوف من أن تستأصل شأفته من البلاد ، أو من أن ينحط مستواه فيها إلى مستوى الرجل الوطني ، أو من كليهما ، إلى أن يشرع من القوانين ما يراه كفيلاً بإبقائه في المستوى الذي يريده ، ويحفظ عليه سيادته .

وهذا العامل نفسه - عامل الخوف - هو المسيطر على عقل الوطنى والبادى فى تصرفه . وأقل مظهر لذلك هو حوادث الاعتداء التى تقع على بعض الاوربيين من غير أن يبدو لها ما يبررها من ثأر شخصى قديم أو طمع فى غنم مادية . فهى مظهر فقط لحقد نفسى أو لخوف دائم . فكأنه يقول هاجمه قبل أن يهاجمك .

وليس الهنود أو غيرهم أحسن حالاً أو أسوأ حالاً فى نظر الوطنى من الاوربيين . فهو ، على أخف التعابير ، يخشى الجميع ويخافهم . وليس الهندى محبوباً من الاوربيين كذلك ، لأنه مزاحم قوى فى الاسواق التجارية ، فيتجر ، كما يقولون علناً فى مجلس النواب ، من الداخل ومن الخارج ، ولأنه هو الذى أثار حفيظة العالم الخارجى ضد القوانين المميزة بين الاجناس هناك .

فعامل الوحدة الذى هو أساس كيان الجماعة وسر بقائها مفقود هناك . والمزاحمة المشروعة فى الاسواق مفقودة هناك . والمساواة فى الفرص بين الجماعات مفقودة هناك أيضاً ، لأن الرجل الابيض هو كل شيء ، وهو الانسان فى هذه البلاد ، وهو القمين بالاعتبار ، وأما غيره فكأنه لا يذكر إلا ليخضع للقانون ، أو لتجبي منه الضرائب ، وحسبه ذلك .

ولا يخفى الرجل الابيض قلقه وخوفه من المستقبل . فالوطنيون فى ازدياد مطرد ، وكذا الاسيويون . أما الابيض فى نقصان ، أو به يحتفظ ، على خير التقادير ، بعدده الحاضر ، غير أن ذلك لا يحفظ له نسبته المئوية بين السكان ، فهذه فى نقصان . ولقد بدأ التفكير جدياً فى أن تسمح حكومة الاتحاد بأن يهاجر إليه ثلاثة ملايين أو أربعة من الاوربيين ، وبذلك يضمون قوة ومنعه ضد باقى السكان . وحيث ، كما يقولون ، يتمكنون من تخفيف القيود المفروضة على غير الاوربيين من السكان . ولكن من أن يأتى هذا العدد ؟ وهنا يبدأ الخلاف بين الاوربيين أنفسهم . فالعنصر الانكليزى فى الاتحاد يفضل أن يسمح بالهجرة

لا كبر عدد ممكن من الانسكاز ، بينما يفضل غيره أن يكون الجزء الأكبر منهم من أوربا . وهكذا يوجد الخلاف بين هذين العنصرين أيضاً في كثير من المسائل ، وإن كانوا يتفقون جميعاً على وجوب تقوية العنصر الأوربي على حساب غيره من العناصر .

وأود هنا أن أسجل ظاهرة استرعت انتباهي فترة طويلة من الزمن : هي مقارنة بين الرجل الأسود في أفريقيا الشرقية ونظيره في أفريقيا الجنوبية . يلقاك الرجل الأول ، حين تمر به قريباً من كوخه أو حقله أو حيث يلقاك ، بابتسامة عريضة ويبشر وترحاب تبدو في ملامح وجهه وفي اشاراته ؛ ويلقاك الآخر ، إذا اهتم بك ، بوجه عابس وب نظرات مخيفة تملأك رعباً وخوفاً . فما سبب هذه المفارقة ؟

إذا قبلنا نظرية الرجل الأبيض ، وسلمنا أن زنوج أفريقيا الجنوبية نزحوا من أواسط أفريقيا ، وجدنا أنفسنا مضطرين إلى أن نتساءل ما الذي جعل زنوج هذه البلاد عابسين على خلاف اخوانهم الآخرين الذين يقاسون من شظف العيش وخشونة الحياة وشدة القبط ما لا يحس به هؤلاء ؟ أو ليس لنا الحق أن نفترض ، ان صحة نظرية النزوح ، ان القوانين الصارمة ، التي جعلتهم عبيداً أو أشباه العبيد ، يخضعون من غير أن تكون لهم حقوق يتمتعون بها ، هي التي ربت عندهم هذا الوضع المغيظ المحقق ؟ تلك فرضية تستحق كثيراً من البحث والاعتبار .

ذلك كله كما قلت نتيجة لعامل الخوف والشعور بأن المستقبل غير مضمون أو مؤكد ، وأن البيئة لا تعطف أو لا يعينها أمر هؤلاء أو هؤلاء . وفي اليوم الذي تزول فيه تلك المخاوف توجد الطمأنينة ويوجد الاستقرار .

ونرجو أن يوفق القارئون بالامر إلى وجود حل يؤدي إلى تلك الغاية ، ويرضى في الوقت نفسه المعاني الإنسانية دون الاعتبار الشخصية أو الرغبات الطائفية .

ويسرنى ، قبل أن أختم هذا الفصل ، أن أقرر أنتى لم ألق عنتا فى هذه البلاد ، ولم أقاس من هذا الوضع فى قليل أو كثير . فقد قابلنى الرجل الأبيض بالترحيب فى كل مكان فى بلاد الاتحاد : فى المطار وفى الطائرة والقطار ، وفى إدارة الجمارك والجوازات ، وفى إدارة البوليس ، وفى كل مكان حللت به . ونزلت فى أرقى فنادق البلد التى لا ينزلها إلا أعيان البلاد من الأوربيين وكبار السائحين من أوروبا وأمريكا ، فلم أر فيها ما ينم عن معاملة خاصة أو نظرة خاصة تنبئ بأنى أقل من أى واحد من الزلاء . بل بالعكس كنت ، بعد أن عرفت بعض أعيانهم هناك ، عضواً بارزاً ، يفتقد حين يغيب ، فى أحاديث كانت تدار أحيانا حول الإصلاح الاجتماعى فى العالم وفى أقطاره المختلفة ، وحول ما ينبغى أن تكون عليه العلاقات بين مصر واتحاد أفريقيا الجنوبية . وهناك التقيت بعدد غير قليل من رجال السياسة والاقتصاد ، وسرنى أن أسمع منهم ثناء مستطاباً على مصر وعلى حسن ضيافتها ومدى تقدمها فى الأيام الأخيرة .

وزرت جامعة الكاب ، فلقيت ترحيباً كريماً من الأساتذة والإدارة - وكلهم من البيض طبعاً . وقضيت فترة طويلة مع أستاذ علم النفس ومساعديه ، وزرت معامل علم النفس هناك . وزرت قسم الفلسفة وقسم علم الأخلاق ، وتبادلت حديثاً طويلاً تمتعاً مع الاستاذين . وقابات عدداً كبيراً من الأساتذة ، وزرت المكتبة ومساكن الطلاب ومطاعمهم وغرف الدراسة والمحاضرات العامة . وكنت ألقى من الترحيب ما يلقاه الزميل من زميله ، أو ما كان يلقاه أى أستاذ أوربى يزور الجامعة . وكذلك كان الشأن فى زيارتى لجامعة الناتال وجامعة ترنسفال وكل معاهد التعليم الأوربية .

وقابلت كثيراً من رجال وزارة المعارف والمشتغلين بالتعليم ، وقابلت المدير الأعلى للتعليم بمنطقة الكاب ، فوجدت منه ، كما وجدت من غيره ، استعداداً تاماً

للتعاون ؛ وكانوا جميعا يستقبلوننى كزميل زائر . وسأشير فى فصل خاص إلى الوعد الكريم الذى وعد به مدير التعليم فى ولاية السكاب . كذلك لقيت ترحيبا وسعة صدر من الجرائد الأوربية . نجاء أحد محررى جريدة « السكاب تايمز » — وهى أكبر الجرائد الأوربية هناك — وأخذ منى حديثا عن مهمتى فى الاتحاد وعن طرف من حياتى الشخصية ، ثم تتبع خطواتى كلها ، ونشر عنها الكثير . وطلب منى فى النهاية أن أكتب مقالا عن « مركز المرأة فى الإسلام » ، فأعطيته هذا المقال ونشره فى حينه .

لذلك لا يسعنى إلا أن أتقدم بحزيل الشكر لكل هؤلاء على الحفاوة والاهتمام والمعونة التى قدموها لى فى مناسبات مختلفة .

ولم تصادفتنى فى هذا الصدد إلا مشكلة واحدة : هى أين ألتقى بالمسلمين ؟ إن القانون لا يسمح لهم بدخول الفنادق التى كنت أنزل فيها ، فأين نلتقى إذن ؟ ولكن تبين بعد ذلك أنها مشكلة سطحية ، فبيوت الله فسيحة . فكنا نلتقى فى المساجد أو فى المدارس والكتاتيب أو فى بعض دور السينما التى يملكها المسلمون . ولقد فتح لى حضرة الأستاذ عبد المجيد صالح قنصل مصر العام فى مدينة السكاب باب القنصلية على مصراعيه ، فكنت أقابل المسلمين هناك أيام أن كنت فى مدينة السكاب . لذلك لم تكن لهذه المشكلة قيمة فعلية .

الاديان هناك

تعدد الأديان فى تلك البلاد بتعدد الطوائف المختلفة : فهناك الأديان البدائية التى تعتقها القبائل المتعددة من الزوج ، وهناك البوذية والبرهمية وغيرهما من الأديان التى يعتنقها الصينيون واليابانيون والهنود ، وهناك اليهودية والمسيحية والإسلام . وأديان الرجل الأبيض هناك هى اليهودية لليهود ، ويقارب عددهم

مائة وخمسين ألفاً ، والمسيحية لسائر الأوربيين . ويعتق جمهور هؤلاء المذهب البروتستانتى ، وإن كانوا ينتمون إلى كنائس شتى . بيد أن الغلبة للكنيسة الهولندية وتليها الكنيسة الانجليكانية .

وعلى الرغم من أن للكنيسة دعاية قوية بين الزوج فإنها لا تسمح للزنى ، حين يقبل المسيحية ديناً ، أن ينتسب إلى كنيسة الرجل الأبيض أو يدخلها . بل تعد له كنيسة خاصة ومقبرة خاصة . والكنيسة نفسها شديدة الملاحظة لقوانين التمييز بين الأجناس ، وكثيرة الحساسية بالنسبة لها . ويقال إنها تعلم ، فيما تعلم ، أن هذا التمييز طبيعى ودينى لأنه وفق إرادة الله ، وسيكون للأبيض من المسيحيين مكان خاص به فى الجنة يوم القيامة وللزنجى منهم مكان آخر فيها . ويروون فى ذلك قصصاً وحكايات .

هذا والكنيسة المصرية ممثلون فى هذه البلاد أيضاً ، ولهم نشاط كذلك . ولكن لم تصلنى معلومات وافية عن مدى هذا النشاط ومدى نجاحهم فيه .

وهناك الإسلام بارزاً بمساجده فى كل مكان ، ما عدا ولاية البرتقال الحرة ، فلا يوجد فيها أحد من المسلمين ، ويقال إن فيها نفرأ منهم ، ولكنه لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة ؛ ولم يمكنى ضيق الوقت من زيارتها ، كما أننى لم أر ضرورة لذلك .

والمسلمون منتشرون فى كل مكان من الولايات الأخرى ، ولا يتركزون إلا فى ولاية الكاب حيث يوجد منهم ستون ألفاً أو ما يزيد على ذلك .

التعليم

التعليم هناك إجبارى بالنسبة للأبيض حتى السادسة عشرة ، ولا إجبار فى

التعليم بالنسبة لغيره . وللأبيض مدارس الخاصة ، ومعاهده الخاصة ، وكلياته الخاصة ، وجامعته الخاصة . وتسمح جامعة الكاب لحسب لعدد ضئيل من غير الأوريين بالانتساب إليها ، ولا يسمح غيرها بهذا الاختلاط .

وأما غير الأوريين فلا تسنح فرصة التعليم الابتدائي أو الأولى إلا لقليل منهم ؛ وأما الثانوى فقد تسنح به الفرصة للمحظوظين من هذا القليل ؛ وأما العالى فلا يتطلع إليه إلا من واثاه حظ عظيم .

المسلمون في الاتحاد

يمكن تقسيم المسلمين في بلاد الاتحاد ، بحسب أصلهم التاريخي ، وهو شيء يتمسكون به من سوء الطالع حتى اليوم ، ويعتزون به ، ويظهر منهم في مناسبات عديدة ، وتعتبره الحكومة كذلك - يمكن تقسيمهم قسمين : الملايويين والهنود :

أما الأوائل فيرجع تاريخهم في البلاد إلى قرنين ونصف قرن من الزمان تقريباً ، إلى عام ١٦٩٤ حين نفي الشيخ علي يوسف وأربعون معه من جزر الملايو إلى أفريقيا الجنوبية . فقد كان الشيخ علي هذا من كبار المجاهدين الذين حاربوا الاستعمار الهولاندي في جاوة أمدا طويلا . ولما هزم أخيراً في تلك المعارك نفاه الهولنديون ونفوا معه فريقاً من أتباعه إلى تلك البلاد : إلى منطقة الكاب بنوع خاص . ومن هؤلاء ومن هاجر بعد ذلك من بلاد جاوه تتكون الجالية الإسلامية في اتحاد أفريقيا الجنوبية المعروفة الآن بجالية الملايو . وكلهم مسلمون على المذهب السني .

ولعل طول مكثهم بهذه البلاد ونسيانهم لغتهم الأصلية ، وربطهم ، بالتالي مصيرهم بمصير هذه البلاد ، أكسبهم بعض الصفات التي جعلت الحكومة تبدو أكثر ميلاً نحوهم من غيرهم ، وتعطيهم بعض الحقوق التي قد تنكرها لغيرهم .

وقد خلد أحد الهنود أخيراً ذكر الشيخ علي يوسف هذا فبنى له ضريحاً على ربوة في ولاية السكاب تبعد عن المدينة بنحو ثلاثين ميلاً . ويوجد بجوار هذا الضريح مقابر لبعض أتباعه الذين نفوا معه ، ولبعض المسلمين في العصور الحاضرة ممن كانوا يقطنون قريباً من هذا المكان . ويعتبر ضريحه مزاراً يتبرك به المسلمون

هناك ، ويتحدثون عن كثير من كرامات الشيخ . وقد زرته وزرت القرية المجاورة له ،
وصلينا العصر بجواره .

ويبلغ عدد أفراد هذه الجالية ستين ألفاً يقيمون كلهم تقريباً في ولاية الكاب .
ويقوم عدد قليل منهم في مدينة جوها نربورج من أعمال ولاية الترنسفال . غير أنه
يقال ان هذا العدد سينقص حين ينفذ القانون الجديد وتحدد الأجناس المختلفة
لتحديد مناطق إقامة لها . لأن كثيراً من مسلمي الهند كان قد نسب نفسه في الماضي
للجالية الملايوية ليتمتع بما كانت تتمتع به من مزايا إجتماعية . هذا النوع من الناس
سيرجعه القانون الجديد إلى أصله الهندي . ولكن الملايويين لا يوافقون على هذا
القول في جملته ويرون أن النقص ، ان صح ، سوف لا يكون شيئاً يذكّر .

وسواء أنقص عددهم الحاضر نتيجة لتنفيذ القانون الجديد أم لم ينقص ، فإن
تركزهم في ولاية واحدة من ناحية ، وعدم مشاغبهم للحكومة وعدم ظهور جرائم
فيما بينهم وعدم مزاحمتهم للرجل الأبيض مزاحمة جدية من ناحية أخرى - كل هذا
مع طول مكثهم في البلاد ، أكسبهم شيئاً من القوة ، وجعل الحكومة ، فيما يشاع ،
تنظر إليهم بعين العطف أكثر من نظرها لأمثالهم من الملونين والاسبويين .

وأما الهنود فيرجع تاريخهم إلى نصف ومائة عام ، حين دعا الأوريون ، وخاصة
الانجليز منهم ، الهنود إلى الهجرة ، ليكونوا لهم عوناً في السياسة والاقتصاد ، وتعمير
الأرض واستعمار البلاد ، فاستجاب لتلك الدعوة عدد غير قليل منهم ، وظلوا
يفدون إلى تلك البلاد زمناً طويلاً إلى أن رأت السلطات أخيراً وقف الهجرة ،
وفرضت على المقيم منهم كثيراً من القيود ، لتحد من نشاطه في الأسواق التجارية .
لأنهم أظهروا من الجلد والصبر ومن الكفاية والنشاط ما جعلهم مزاحمين أقوىاء
للرجل الأبيض في التجارة بنوع خاص ، حتى أصبح عدد كبير منهم يملك ثروات

طائفة تعد بالملايين من الجنهات ، ولا يزالون يتقدمون بخطى ثابتة في هذا المضمار ، على الرغم من القيود الصارمة والعراقيل الكثيرة التي توضع في طريقهم .

وتبلغ الجالية الهندية ربع المليون من النفوس ، ولكن المسلمين منهم يتراوحون بين خمسين ألفاً وستين ألفاً . يسكن منهم ما يزيد على ستة آلاف في منطقة الكاب ، والباقي منهم يقيم في الترنسفال والنااتال . وكان يسرنى أن أرى بعض المساجد المتناثرة على طول الطريق الذي يصل بين جوها نربورج ودربان ، فلا تكاد تخلو قرية على طول هذا الطريق من جالية إسلامية هندية .

ولا يوجد هناك من المسلمين غير هاتين الجاليتين ، اللهم إلا أفراداً قلائل يعدون على الأصابع من لبنان وسوريا وتركيا ، وبضعة أشخاص من الجنس الأبيض أسلوا حديثاً بدوافع نفسية . غير أنهم يخفون إسلامهم عن الجماهير رغبة منهم في الاحتفاظ بمراكزهم الاجتماعية والاقتصادية ، إلا شخصاً واحداً من أعرق أسرة هولندية تقيم هناك - أسرة « بوئا » ذات التاريخ الطويل هناك في السياسية والإدارة والحروب والاقتصاد . فقد أعلن إسلامه للجميع واختلف مع أسرته وزوجه لهذا السبب . وقد قابلته مراراً : زارني في الفندق الذي كنت أنزل فيه وزرته في بيته كذلك . وكان في حاجة ماسة لمثل هذه المقابلات لتصحيح الكثير من معتقداته . وهناك بضعة أفراد من الملونين ومن الوطنيين اعتنقوا الإسلام حديثاً بوازع نفسية كذلك . ولكنهم جميعاً أفراد لا يكونون وحدة منسجمة .

فالتحدث عن المسلمين ، إذن ، ينحصر في التحدث عن هاتين الجاليتين - جالية الملايو والجالية الهندية . لذلك تقصر الحديث عليهما .

مركز المسلمين في البوم

يكتسب المسلم بالإسلام نوعاً من الخلق الكريم الذي يجعله يترفع عن كثير

من الدنيا والصغائر التي قد يرتكبها أمثاله من غير دينه ، ويجعله يعتر بشخصيته وبكرامته فلا يعرضهما للامتحان ، وذلك يكسبه نوعا من الاحترام والتقدير في البيئة التي يحل بها ، واصرار المسلم على أن يقيم شعائره الدينية علنا ، على الرغم من كل العوائق التي تقف في سبيله ، يجعل الرجل الاجنبي ينظر إليه وإلى دينه بكثير من الاحترام . فالإسلام للمسلم ثقافة وخلق بالاضافة إلى أنه دين ، ومن ثم كان أكثر نفعا للمجتمع ، وخضوعا للنظم ، من غيره .

ذلك هو شأن المسلمين في أفريقيا الجنوبية . فهم شديداً التمسك بدينهم ، وبما يتصل به اتصالاً قريبا أو بعيداً ؛ وهم ، لذلك ، وعلى الرغم من عدم تنقهم بالثقافات المدرسية والجامعية أقل السكان ارتكاباً للجرائم ومخالفة للقوانين مهما بدت مجافية للعدل والصواب . وهم أكثر السكان تمسكاً بالفضائل الإنسانية التي لم تدرس في المدن الحديثة طهرها . فلا عجب إذن أن نرى الرجل الأوروبي ينظر إليهم بكثير من الاحترام والتقدير ، وإن كان ذلك مشوباً بشيء من الخوف - خوف أن يصبح الإسلام هناك قوة تطفئ على المسيحية دين الحاكمين ، ولم يخف أحد القادة هناك قلقه وخوفه من انتشار الإسلام بين الوطنيين ، لأنه يكسبهم قوة نفسية فوق قوتهم العددية . فإذا يكون مصير المسيحية يومئذ ؟ تلك هي مخاوفه ، التي بددتها حين خبرت بها ، في محاضرة عامة أعلنت فيها أن الإسلام آمن وسلام للمسلم ولغيره على السواء ، وأن دولته تعطي غير المسلمين فيها كل ما للمسلمين من حقوق وما عليهم من تبعات .

وعلى الرغم من ذلك الاحترام الذي اكتسبه المسلم بخلقه وشخصه ، فجال الحياة أمامه ضيق ، بل أكثر ضيقاً من المجال المفتوح لنظرائه من المسيحيين . فمدارس الحكومة لغير الأوروبيين لا تقبل من أبناء المسلمين إلا القليل ، وتفضل ، ما دامت إدارتها مسيحية ، أبناء المسيحيين حين يضيق المكان . ومدارس الكنيسة - وهي

كثيرة ، ومنتشرة في كل أنحاء البلاد ، وتعينها الحكومة بسخاء - يصدق المسلمون عنها ، لنزعتها التبشيرية ، وتفضل هي غيرهم عند ما يوجد مجال المفاضلة .

وبجال العمل الحر أمامهم ضيق كذلك ، لأن المسيحي الملوّن مفضل عليهم في كل شيء حتى في الحرف الدنيا التي يفتح بابها أمامهم . ولا يسمح لهم ، كغيرهم من غير الأوربيين ، أن يملكوا شيئاً من الحقول والمزارع ، أو أن يساهموا في المناجم والمصانع ، فليس أمامهم إلا بعض الحرف التي لا يحسنها غيرهم ، وإلا التجارة في مجال ضيق . فهم في جملتهم فقراء . لذلك لا تكاد تجد بين أهل الملايو - وهم ستون ألفاً - من يقال عنه انه غنى أو قريب من ذلك . ويحترفون إلا قليلاً منهم حرفة البناء وأعمال الحياكة وتجارة الخضر والفواكه ، كما يحترف قليل منهم أعمال البقالة وتجارة الأقمشة والخردوات . وجمهور المسلمين من الهنود فقراء كذلك ، وإن كان يوجد من بينهم من يملك ثروات طائلة ، غير أنه عدد قليل . ولكن هل تسمح الظروف لمثل هذا العدد القليل أن يحتفظ بثرائه طويلاً ؟ ذلك ما ستبينه الأيام القريبة .

وليس مركزهم السياسى أو الاجتماعى خيراً من ذلك . فليس لواحد منهم حق الانتخاب إلا في المجالس البلدية في منطقة الكاب ، كما أشرت آنفاً ، وقد علمت أن هذا الحق سيزول قريباً . ولا يتيسر لأحدهم أن يخرج ويرفع صوته أمام الرأى العالمى متذمراً من سوء الوضع الذى وضعتهم الحكومة فيه . وليس لهم ، بالجملة ، أى حق سوى ما يتفضل به الحاكم الأوروبى ؛ وكلها منح تعطى ، ثم تسترد ، كلما رغب الحاكم .

وأما مساكنهم ففي الأحياء المتواضعة على وجه عام ، وفي الأماكن التي لا يرضى بها فقراء الأوربيين هناك . ويسكن كثير من مسلمى «دربان» في منازل نفثة وفي أحياء راقية . ولكن هل سيظلون فيها ؟ وكيف يظلون فيها وسيف القانون

الجديد - قانون تحديد مناطق لسكنى الاجناس المختلفة - مصلحت على رقابهم
وسينفذ قريباً ؟

ارتباط المسلمين فيما بينهم

لا شك أن الإسلام يوجد بين المسلمين رابطة من الشعور بالآخوة التي لا تجد لها نظيراً في أية بيئة أخرى . وهذا القدر موجود بين المسلمين هناك ، ويعبر عن نفسه في كل المناسبات . ولكن ، على الرغم من أنهم جميعاً ، إلا في حالات قليلة ، من أهل السنة ، ولا يجد الواحد منهم حرجاً في أن يصلي في مسجد الآخر ، فلا يزالون يتحدثون عن مساجد لأهل الملايو ومساجد للهنود . وتلك ظاهرة حاربتها كثيراً راجياً أن تسمى كلها بيوت الله ، وتعامل على هذا الأساس . وسأشير إلى هذا الموضوع في فصل خاص . ولا يزال المسلم الهندي يتحدث عن أنه هندي ، ويتمسك بتلك الناحية شديد التمسك : فيصر على أن يعلم ابنه ، بحوار لغات البلاد ، اللغة الأوردوية أو السكوجورانية ، أو أية لغة أخرى من اللغات التي تتكلمها المقاطعة الهندية التي نزع منها . وأما أهل الملايو فلا يتعلمون إلا لغات البلاد : الانكليزية والافريكانية . أفليس في هذا ما يشعر بأنه قد لا يكون هينا أن يوجد النوعان من الطلاب في مدرسة واحدة ؟ كذلك بلغني أن التزاوج بين الفريقين قليل ونادر ، وأن الهنود كانوا يرسلون أبناءهم إلى الهند ليتلقوا هناك ما يريدون من دراسات دينية ؛ وأما الآخرون فكانوا يرسلون أبناءهم إلى مكة . وبذا اختلفت لغة التعليم ولغة الخطابة والوعظ والارشاد : فكانت ، ولا تزال اللغة الأوردوية أو غيرها من لغات الهند ، بالنسبة للأول والافريكانية بالنسبة للثاني . ولا شك أن الظروف التي وقعوا تحتها مسئولة إلى حد كبير عن ذلك النوع من التفرق والاختلاف .

وهناك ظاهرة غريبة تستدعى الملاحظة والاعتبار : هي كثرة الجمعيات الدينية وغيرها بين الملايويين ، وانعدامها أو شبه انعدامها بين الهنود : فيوجد في ولاية السكاب ما يقرب من مائة جمعية للملايويين ، ولم أر واحدة هناك للهنود ، ولم أر في الترنسفال إلا جمعية واحدة سياسية ، وكذلك في الناتال . فما هو السر في حرص الاولين على أن يكون عملهم جمعيا دون الآخرين ؟

غير أنه يسرنى أن أقول ان روح التعاطف والتراحم والتعاون سائدة بين الجميع على وجه عام .

القضاء

يخضع المسلمون في المسائل المدنية والجنائية خضوعا كليا إلى قضاء البلاد الاوربي وإلى قوانينها المستمدة من القانون الروماني الهولاندى ، ولكن مشكلتهم تبدو واضحة جلية في مسائل الأحوال الشخصية ، لان الحكومة لا تعترف بتشريع غير تشريعها ، ولا تقبل ما يترتب عليه من نتائج أو مسئوليات . فلا تعترف بالشرعة الاسلامية ، ولا تعترف بما يترتب عليها من حقوق بين المسلمين بعضهم ببعض . فكل زواج يتم على أى أسلوب لا يرتضيه القانون المدنى أو الكهنسى يعتبر زواجا باطلا في نظر القانون . وعلى هذا الاساس ، يكون كل زواج يتم على أيدي علماء المسلمين هناك زواجا باطلا في نظر القانون لا تترتب عليه النتائج التي تترتب على الزواج الصحيح . فالأولاد الذين يأتون نتيجة لمثل هذا الزواج ينسبهم القانون للأمهات دون الآباء ، ولا يتوارثون مع الآباء ، ولا يجب أن ينفق الواحد منهم على الآخر . وإذا مات مثل هذا الزوج أو الزوجة يعامل المتوفى منهما ، فيما يتعلق بضريبة التركات ، معاملة الأعزب لا المتزوج . كذلك لا تقبل المحاكم النظر في قضايا الزواج الذى لا يعترف به القانون . فإذا اعترف به ، وقبلت المحاكم

الفصل فيه فصلت فيه على مبادئ القوانين المسيحية دون الإسلامية ، ولو كان المتقاضيان مسلمين .

هذا ولجعل الزواج مقبولا في نظر القانون يجب أن يلجأ المسلم إلى أحد طريقين :

١ — يذهب الزوجان إلى واحد من الموثقين الرسميين ، ويطلبان منه تسجيل عقد زواجهما الذي يكون قد تم على يد بعض العلماء ، ويدفعان من الرسوم ما يساوي خمسة جنيهات .

٢ — أو يذهبان إلى إحدى الكنائس لعقد العقد ثانياً ، فيتم العقد طبقاً لتعاليم الكنيسة ، ويدفعان من الرسوم ما يساوي خمسة وعشرين قرشاً فقط . غير أن الكنيسة لا تتبع في عقود زواج المسلمين الاحتفالات الكنسية التي تتبعها مع المسيحيين .

من ذلك يتبين أنه ينبغي على طالبي الزواج من المسلمين أن يلجأوا إلى أحد الطريقين بعد عقد العقد ليكون العقد مشروعاً في نظر القانون . ومن ذلك يتبين أيضاً مدى المغريات التي توضع بجانب الكنيسة ليذهب إليها الناس . فمن ذا الذي يذهب إلى الموثق ليدفع خمسة جنيهات ، إذا كان سيصل إلى النتيجة نفسها بذهابه إلى الكنيسة ودفعه خمسة وعشرين قرشاً ؟

ولكن المسلمين ، على الرغم من كل ذلك ، يفضلون الأسلوب الأول ويرفضون الذهاب إلى الكنيسة ، لأن الزواج ، حين يتم فيها ، يجعل الزوجين خاضعين إلى الأبد ، في كل ما يتعلق بالزواج ، إلى قوانين الكنيسة في الطلاق والفرقة والنفقات والزواج الثاني الخ . وقد يذهب فريق من فقهاء المسلمين إلى الكنيسة بعد عقد العقد ، ولكن هل يلتزمون بعد ذلك بما تفرضه عليهم الكنيسة من قوانين ؟ لا أدري .

تلك ظاهرة — يوسفنى أن أقول — لا تدل على شيء من التسامح الدينى ، ولا ينبغي أن تسمح بها أمة متحضرة . بل كان ينبغي أن تعترف بعقائد المواطنين على الأقل فيما يختص بأحوالهم الشخصية . وذلك أدنى مظاهر التسامح وسعة الصدر .

ويقال ، والعهدة على الراوى ، وهو أحد الأوربيين هناك ، ان الحكومة رأت في يوم من الايام أن تعين بعض أئمة المسلمين للقيام بمراسم الزواج طبقاً لتعاليم الشريعة الإسلامية ولما يتطلبه قانون البلاد من شكلية . وبذلك يصبح الزواج شرعياً ومقبولاً من ناحية القانون من غير حاجة إلى الالتجاء مرة أخرى إلى الكنيسة أو المسجل . فتردد العلماء أولاً ، ثم قبلوا الفكرة أخيراً ، ولكنهم أجمعوا على الاعتذار في النهاية . وذلك لما كان يتطلبه العمل من إجراءات شكلية ومن مسؤوليات تؤدي مخالفتها إلى السجن . وقد سجن أحدهم بالفعل لذلك الإهمال ، وبذلك رجع الحال إلى وضعه الأول .

ويوجد هناك بين المسلمين ما يسمى بالمجلس القضائى . وهو مكون من الأئمة ومن الذين لهم إلمام بمسائل الشريعة الإسلامية في الولايات المختلفة . وهو ليس معيناً ولا معترفاً به من جانب الحكومة . ولكنه مجلس عرفى عين نفسه ليفصل ، أو ليفرض نفسه للفصل العرفى في مسائل الخلاف بين الزوجين . ويتمتع أفرادهم بكثير من الاحترام وقوة النفوذ في بيئاتهم المختلفة ، لأنهم رجال دين ، ولأنهم المتفقهون في البلاد ، لا لأنهم رجال قضاء . ولا يخفى بعض المثقفين تدمره من هذا المجلس على وجه عام لأسباب يذكرها .

المساجد

المساجد في هذه البلاد كثيرة ، ومنتشرة في جميع أنحاء البلاد ، وموجودة

كلها وجدت جالية إسلامية ، لكنها مع كثرتها لا تنفي بحاجة المسلمين ، لأنها كلها من نوع الزوايا الصغيرة لا المساجد الكبيرة ، إلا مسجد الجمعة في « دربان » ، فإنه يتسع لما يقرب من أربعة آلاف من الأشخاص . ولا يتناسب الكثير منها مع حالة البلد من الرقي وجودة البناء .

وتتوقف حالة هذه المساجد ، في النظافة والخدمة وروعة البناء ، على مركز الجالية التي تتعدها . فالمساجد التي تتعدها الجالية الملايوية قديمة ، وتبدو عليها الحاجة ، وليست لها حبوس خاصة ، ويتعدها الإمام بنفسه . ولذلك ارتبطت به كل الارتباط . ويتوقف مدى صلاحية المسجد على نشاط الإمام ومدى نفوذه في بيئته . وليس له أو لخدم هذه المساجد رواتب معلومة ، فعليه أن يعيشوا من أعمالهم الخاصة ، أو بما يجود به أفراد الجالية في المناسبات المختلفة .

وأما المساجد التي تتعدها الجالية الهندية فخير من ذلك في جملتها . لأن لبعضها حبوساً خاصة تدر من الربح ما يزيد على حاجتها . ولأنتمتها وخدمها رواتب ثابتة يتقاضونها كل شهر تصل في بعض الأحيان إلى خمسة وعشرين جنياً في الشهر بالنسبة للإمام . وتتفق الجالية الهندية بسخاء على المساجد ، لأن حالتها المالية تسمح بذلك . ويوجد في بعض هذه المساجد ماء حار في فصل الشتاء بجانب الماء البارد ، كما أن كثيراً منها يفرش بالبسط . ولقد رأيتهم يقدمون في شهر رمضان الحلوى والحساء في المساجد ليفطر عليهما الصائمون قبل صلاة المغرب .

والمساجد هناك التي زرت كثيراً منها ، وصليت الجمعة والتراويح في بعضها ، وحاضرت في بعض آخر منها هي ، حسب الإحصاء الذي أخبرني به الثقة ، ما يلي :

عدد

٢٧ مسجداً في منطقة الكاب يتعهد الهنود منها أربعة .

٧ مساجد في جوهانزبورج يتعهد الملايويون منها واحداً .

عدد

- ١ مسجد نخم في بريتوريا يتعهده الهنود .
- ٦ مساجد في قرى على الطريق من جوهانز بورج إلى دربان يتعهدها الهنود .
- ١٣ مسجدا في دربان يتعهدها الهنود .

من ذلك الإحصاء يتبين عدم كفاية هذه المساجد للمسلمين هناك ، وخاصة إذا علمنا أن بعضها أصبح في وضع لا يسمح عادة بالصلاة فيها . ومع ذلك فلا بد لنا أن نتساءل ما هو مصير هذه المساجد بعد تنفيذ القانون الجديد ؟ هل سيزول كثير منها أو يخرب على مر الأيام لعدم وجود من يتعهده ؟ ذلك ما يخشاه الكثير . فهذه المساجد مبعثرة ومنتشرة في جميع أنحاء البلاد ، بل في المدينة الواحدة ؛ والمسافات هناك شاسعة . فإذا سيكون مصيرها عند ما يوضع المسلمون مع غيرهم من جنسهم بعيدا عن بعض هذه المساجد ؟ سوف لا يتمكن كثير من الصلاة فيها بلا مرأ لبعء المسافة ، بل قد لا يسمح للمسلمين بالدخول في مناطقها إذا ما أعلنت مناطق لغير الجالية التي ينتسب إليها المسلمون . ولا شك أن كثيرا من مساجد المسلمين موجود في المناطق التي ستكون للأوربيين لحسب . فكيف يبقى المسجد قائما مادام لا يوجد من يتعهده أو يصلى فيه ؟ قد تحجم الحكومة حين تنفيذ القانون الجديد عن هدم هذه المساجد . وأكبر الظن أنها ستحجم عن ذلك ، على الأقل لئلا يقال إنها تهدم معابد من يخالفها ، ولكن المصير واحد . فليس هناك فرق بين هدم المسكان وعدم تمكين أربابهم من الدخول إليه لتعهده وإصلاح شؤنه .

وبعد ذلك هل يتأتى لهؤلاء الناس مع فقر الكثير منهم ، ومع القيود الموضوعة عليهم ، أن يبنوا مساجد أخرى أو مساكن أخرى ؟ وهل سيكون عندهم من الشجاعة والثقة في المستقبل ما يجعلهم يشيدون مساجد أخرى أو مساكن أخرى ؟ وهل هناك ما يضمن أنهم سوف لا ينقلون مرة أخرى في المستقبل بعد أن تسمح لهم الظروف بتشييد ما يريدون تشييده ؟

تلك مخاوف موجودة في نفس كل مسلم هناك . ولها ، من سوء الطالع ، ما يبررها من تصرف الحاكمين ومن تشريعاتهم التي لا يبررها غير أنها تشريع القوى ضد الضعيف الأعزل الذي لا يجد حولاً ولا قوة .

زرت كثيراً من هذه المساجد ، وحاضرت فيها بعد الصلوات ، وصليت فيها التراويح كذلك . وهم يطيلون في التراويح إطالة تعتبر ملة في نظر كثير من المصريين . فهم يحرصون جميعاً وبلا استثناء على أن تصلى التراويح بالقرآن كله على أن يختم في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان . ويدرب الحفاظ تدريجاً كافياً لهذه المهمة . وقد يكون إمام التراويح غير الإمام الراتب المسئول عن المسجد ، لأن الأول ، كما يقولون ، حافظ والثاني عالم . وصليت معهم الجمعة مراراً . ولا تزال خطبة الجمعة عندهم شكلية أكثر منها حقيقية أو روحية ، لأنها تلقى باللغة العربية ، ولا يفهمها أحد . وأشك كثيراً في مدى فهم بعض الخطباء للغة العربية أيضاً ، لأنني حاولت التفاهم معه بالعربية والإنجليزية فأخفقنا واضطررنا إلى استحضار من يترجم بيتنا . وقد سمعت بعض الخطباء يخطب من ديوان قديم لست أدري متى كتب ، غير أنني فهمت من أسلوبه وموضوعه ولغته أنه لا بد أن يكون قد كتب في أحلك عصورنا ظلمة . واستمعت كذلك إلى بعض الخطباء الذين كانوا قد درسوا في الأزهر وإلى بعض الشبان الذين درسوا حديثاً في مكة فوجدتهم خيراً من غيرهم . وكان بعضهم يخطب من كتاب للرحوم الشيخ علي محفوظ .

وعلمت أن المسلمين في مدينة الكاب كانوا قد عقدوا العزم على بناء مسجد كبير في المدينة ليكون مسجداً جامعاً هناك ، وقد ساهمت فيه الحكومة المصرية بخمسمائة ألفين من الجنيهات . ولكن لا يزال هذا المبلغ قائماً على ذمة المسجد لعدم تمكن المسلمين من جمع ما يكفي من المال لبنائه ، مع أنهم في شديد الحاجة إليه .

التعليم

وهنا نجد مشاكل جمة مترابطة، وأخذاً بعضها بحجز بعض أخذاً يجعل المرء يحار كيف يبدأ في التحدث عنها، وتصويرها، فضلاً عن معالجتها. فالمسلمون ينقصهم التعليم بجميع أنواعه، وفي كل مراحلها. فهم في حاجة ملحة إلى كل مما يسمى عادة بالتعليم الديني والتعليم المدني. والمجال في كليهما ضيق بالنسبة لهم، ويكاد بابه يكون مغلقاً دونهم، لأن الفتحة الضيقة التي قد تسمح بالدخول منها للتعليم المدني محوطة بكثير من العقبات التي لا يسهل تذليلها. والمقدار الضئيل الهزيل مما يسمونه التعليم الديني الذي ييسرونه لأبنائهم في المكاتب والكتاتيب يسير على نحو ممل، وعلى أسلوب بدائي جاف، يجعل الطالب يصدف عنه حين يكره عليه، ويفر منه بقدر المستطاع، وينسى قصداً ما تعلم منه بعد أن يغادر المكتب أو الكتاب.

ولنعطى صورة فيها شيء من الوضوح عن تعليم أبناء المسلمين هناك نرى لزوماً علينا أن نشير بشيء من التفصيل إلى المجال المهيء لهم لتثقيف أبنائهم في دينهم وديانهم.

التعليم المدني

هذا النوع من التعليم طائفي، كما أشرت سابقاً. فلكل طائفة مدارسها الخاصة التي لا تقبل غير أبناء هذه الطائفة. فمدارس الحكومة للأوربيين لا تقبل غير أبناء الأوربيين في جميع مراحلها. ومدارس الملونين لا يدخلها الأوربيون كذلك بحكم القانون لا بحكم العادة فحسب. أما مدارس الحكومة للملونين ومن في حكمهم أو المدارس التي تعينها الحكومة ففروض أنها تقبل أبناء غير الأوربيين بقطع النظر عن جنسياتهم وأديانهم. ولكنها لا تقبل، من ناحية عملية، إلا قليلاً من أبناء الطائفة التي لا تنتمي إلى طائفة نظارها والقائمين على شئونها، وهذا يعني أنها لا تقبل من أبناء المسلمين إلا القليل.

وتختلف مناهج التعليم وأساليبه باختلاف الولايات . فلكل ولاية من الولايات الأربع نظامها الخاص ، ومنهجها الخاص وأسلوبها الخاص في تعليم غير الأوربيين . ولكنها تتفق جميعا في أنه لا يجبر على التعليم إلا أبناء الأوربيين ، ولا يجبر على تعليم الدين إلا في مدارس الأوربيين ، وفي أنه لا يسمح لغير الأوربي بالدخول في مدارس الأوربي .

وما دام التعليم اجباريا بالنسبة للأوربي فلا بد أن يوجد مكان لكل طفل وطفلة منهم في المدرسة حتى السادسة عشرة ، وهذا هو الواقع بالنسبة له ، أما غيره فالمجال أمامه ضيق ، وسنتحدث عن المسلم بنوع خاص .

يوجد في ولاية السكاب اثنتا عشرة مدرسة أولية لأبناء المسلمين ، وهي من المدارس التي تعينها الحكومة ، وما دام كذلك ينبغي عليها أن تقبل من يتقدم إليها من أبناء غير المسلمين ، ويوجد بالفعل في بعضها أطفال لغير المسلمين . ولكن هذه المدارس كلها لا تتسع لأكثر من حوالى خمسمائة وألفين من الأطفال ، في حين أنه يوجد بجوار هذا العدد ما يزيد على ستة آلاف منهم في سن التعليم . فما هو مصيرهم ؟ وأين يذهبون ؟

توجد مدارس أخرى حكومية للبلونين ، ولكن إداراتها مسيحية ، وكثيرا ما ترفض أبناء المسلمين بحجة عدم وجود أماكن خالية لهم . وتوجد مدارس الكنيسة أيضا . وهذه كثيرة ، والانتساب إليها سهل ميسور لكل إنسان ما دام سيقبل أن يلحق ابنه أو بنته تعاليم الكنيسة ، لأن التعليم الديني فيها إجباري على نحو أوسع مما في مدارس الحكومة . والطفل الذي لا يسمح له أبواه بحضور دروس الدين يرفض في العادة . ولهذا يتمتع كثير من الآباء عن إرسال أبنائهم إلى هذه المدارس ، ويفضلون أن يظلوا جاهلين على أن يتعلموا ويصبحوا مسيحيين أو ذوي

ميول مسيحية ، أو أن يرسلهم إلى نوع من مدارسهم الخاصة يشبه الكتاب القديم في مصر ، وسأحدث عنه قريباً .

من ذلك يتبين أن حوالي ٧٠٪ من أبناء المسلمين محرومون من التعليم الأولى ، مع أن ذويهم يساهمون في بناء الدولة كغيرهم سواء بسواء ، وبعد ذلك ، ما هو مصير هؤلاء الذين أتاحت لهم الظروف أن يملأوا في المرحلة الأولى من التعليم ؟ والجواب أن المجال أمامهم ليس خيراً من سابقه . فلبست لهم مدارس خاصة على الإطلاق ، وإذا أراد واحد منهم أن يستمر في التعليم فعليه أن يترك أبواب الكنيسة ويحضر دروس الدين ، أو أبواب المدارس الحكومية للملوك ، وهذه قليلة جداً ، وليس الدخول فيها بالأمر الهين .

تلك صورة صادقة لما يوجد في ولاية السكاب . وليست ولايتا التانال والترنسفال خيراً من ذلك . اللهم إلا في وجود مدرسة ثانوية واحدة في كل ولاية منهما لأبناء الهنود جميعاً مسلمين وغير مسلمين ، والمسلمون لا يزيدون عن خمس مجموع الهنود ، ولكنهما أقل بكثير من ولاية السكاب في عدد المدارس الأولى التي تعينها الحكومة ، فولاية السكاب أحسن حظاً من غيرها في هذا السبيل .

وأما التعليم العالي فهو أكثر سوءاً من ذلك كله . فليست لهم كليات خاصة إلا كلية طب بدأت من شهرين في التانال للملوك جميعاً ، والدراسة فيها مسائية فحسب . ولا يسمح لهم بدخول جامعة التانال للأوربيين أو جامعة الترنسفال إلا في بعض الأقسام ، وعندئذ تكون لهم فصول خاصة محدودة . وأما في ولاية السكاب فيسمح لعدد قليل من الملوك - ومنهم المسلمون - طبعا - بالانتساب لجامعتها . وقد علمت أن المسلمين فيها ستة طلاب فحسب ، كان أحدهم مسيحياً فأسلم حديثاً بوازع نفسى . وعلمت أيضاً أن كثيراً من الشبان يفضل ، حين يقدر ، أن يكمل تعليمه في أوروبا ، ليتفادى العقبات وينجو من عقد النقص التي قد تكون عنده نتيجة حياة البذ والعزلة التي يخضع لها في الجامعة .

كل ذلك يبين في وضوح مدى النقص في التعليم بالنسبة لأبناء المسلمين ومدى ما يلقون من عنث في هذا السبيل ، ولكنني علمت أثناء إقامتي القصيرة هناك أن المسلمين إذا بنوا مدارس ، وقد موها للحكومة ، فإن الحكومة ستعمل من جانبها على إعانة هذه المدارس ، وبذلك يفتح لهم باب التعليم الأولى . غير أن ذلك غير ميسور دائماً للمسلمين . فالجمهور لا يملك ما يبذله ، والأغنياء غير مستعدين دائماً للبذل ، وخاصة في المسائل التي لا يعرفون مصيرها . فالمشكلة ، إذن ، حادة ، ولكنها ليست على كل حال بما يستحيل حله .

التعليم الديني

هذا النوع من التعليم موجود في المكاتب والكتاتيب المنتشرة في أنحاء البلاد ويقوم به العرفاء والفقهاء ومن لهم المصام بالدراسات الدينية والعربية ، أو باللغة الأردوية ، وطلاب هذه المكاتب على نوعين : طلاب يذهبون إليها في الصباح والمساء ، أو المساء فقط حسب ظروف الطلاب أنفسهم ، أو حسب ظروف المكتب والعريف ، وهذا النوع من الطلاب هو الذي لا يجد مكاناً في المدارس النظامية الحكومية ، وآخرون لا يذهبون إليها إلا في المساء ، وهم الذين أسعدتهم الظروف ، فوجدوا أمكنة في مدارس الحكومة الأولية ، فيذهبون إلى هذه في الصباح ويذهبون إلى الأخرى في المساء بعد الفراغ من الأولى .

ويتعلم الطالب الهندي هناك اللغة الهندية التي يتكلمها أبواه ، وهي اللغة الأردوية في الغالب ، لتساعده ، كما يقولون ، على تعلم اللغة العربية ، ويحفظ القرآن الكريم كله أو بعضه . وأما الملايوى فلا يتعلم من اللغات بعد اللغات الوطنية إلا مبادئ اللغة العربية . وهو ، في الحالين ، تعليم عديم الجدوى ، لأن الذي يتعلم الأردوية ليعرف العربية يتعلم الأولى ويتكلمها ، ولا يعرف في النهاية شيئاً عن الثانية ؛ وكذا الأخير ،

فتراه يردد كلمات من اللغة العربية أيام طفولته لا تفيد شياً ثم ينساها بعد ذلك ؛ ولا يعرف العربية منهم إلا من درس في مصر أو في مكة ، أو في بعض بلاد الهند ؛ وهذا الأخير لا يجيد النطق بها .

ويدرس الطالب كذلك مبادئ الدين الإسلامى العملية والاعتقادية ، ولكن بأسلوب بدائى جاف ، يجهد الطالب والمدرس معا ، ويضيع عليهما كثيراً من الوقت من غير جدوى ، وخاصة لأنه لا يوجد بأيديهم شئ من الكتب في هذا الموضوع ، ولا من أدوات الكتابة . ويحفظون القرآن كذلك . وهم يهتمون بهذا الحفظ اهتماماً كبيراً ، ويفخرون به ، مع أنه كله حفظ بلا وعى ، لأن الحافظ لا يعرف شيئاً من اللغة العربية - لا يتكلمها ولا يكتبها ولا يفهمها ، ولا يفهم شيئاً من القرآن . إلا إذا ترجمت له معانيه إلى اللغة التى يفهمها ؛ ولكنه ، على الرغم من ذلك كله ، حافظ .

وتجد أمام كل مدرس أو عريف في هذه المكاتب ما لا يقل عن ستين طفلاً تراوح أعمارهم بين الخامسة والخامسة عشرة ، وقد حشروا حشراً في مكان ضيق لا يصلح عادة للدراسة ، ويظلون هكذا أمام المدرس ساعتين أو ثلاث ساعات كل يوم .

ولقد زرت كثيراً من هذه المكاتب ، فوجدتها غير صالحة في بنائها وفي مناهجها ، ان صح أن لها مناهج ، وفي أسلوب الدراسة ، وفي كفاية المدرسين ، وفي عددهم ، وفي أجورهم ؛ وهذه هزيلة جداً ، مما جعل الأكفاء منهم يفرون من مهنة التعليم ويحترفون غيرها ، وجعل غيرهم يبحث عن رزق بجانبها . ويتبرع كثير منهم بعمله من غير أن يتقاضى عليه أجراً . ولكن المجهود في جلته ضائع ، أو يكاد يكون ضائعاً . وليست القوة التى تحفظ المسلمين هناك من الزيغ مستمدة من الدارسة الدينية في المكتب أو الكتاب ، ولكن من الاعتقاد القوى المتوارث

الذي يلقنه الآباء للأبناء ، وليست مبادئ الدين العملية التي يعرفونها ناشئة عن ذلك المصدر وحده أيضاً ، ولكن عن السماع والمشاهدة في البيت كذلك .

معاهد التربية

وأظن أنه من الواضح الآن أنه لا ينتظر أن يكون للمسلمين معاهد تربية يدربون فيها أبناءهم ليكونوا مدرسين . وهذا هو واقع الأمر . ولكن يوجد من هذا النوع من المعاهد عدد قليل تحت رعاية الكنيسة ، وعدد أقل من هذا العدد تحت رعاية الحكومة . ولكن العدد الذي يمكنه أن يتقدم إليها من المسلمين قليل ، ولا تفتح الأبواب إلا لقليل من هذا القليل . ولا أراي في حاجة للتحدث عن التعليم الجامعي ، فقد سبق أن أشرت إليه ، ولكني أود أن أذكر هنا باباً يمكن أن يفتح أمامهم مع قليل من الجهد .

الدراسات العربية في جامعة السكاب

ولكن ، على الرغم من ذلك كله — من شبه انعدام الدراسات الثانوية بالنسبة للمسلم ، وانعدامها في اللغة العربية بالنسبة له — فهناك أمل يسمح له بأن يتنسب إلى جامعة السكاب ليتخصص في اللغة العربية وينال درجة عليية فيها . فقد رصد أحد المسلمين : هو المرحوم سليمان شاه مبلغاً ضخماً من المال لإنشاء به أو بريعه كرسي للدراسات العربية في جامعة السكاب . وقد قبلت الجامعة الفكرة ، ولكنها لم تنفذ حتى اليوم لعدم وجود طلاب يحملون شهادة البكالوريا في اللغة العربية .

ولا شك في أنه يعتبر كسباً عظيماً للمسلمين عامة ، وليس للمسلمين في اتحاد أفريقيا الجنوبية لحسب ، أن تنشئ جامعة السكاب كرسياً للدراسات العربية والإسلامية فيها . بيد أن إنشاء مثل هذا الكرسي لا يتوقف في نظر الجامعة على

وجود الأستاذ والمسال لمحب ، بل على وجود طلاب يعرفون اللغة العربية ، ويحملون شهادة البكالوريا فيها وفي المواد المدنية الأخرى . وهذا يتوقف بدوره على جعل اللغة العربية لغة أساسية أو إضافية تدرس في كل من التعليم الابتدائي والثانوي . وذلك يحتاج إلى مجهود كبير من الجالية الإسلامية هناك ومساعدة من الحكومة كذلك . والغريب أنه لم يفكر في شيء من ذلك من قبل .

تلك هي مشكلة المسلمين هناك على وجه عام . وهي مشكلة عويصة لا تحل في يوم أو بعض يوم ، ولكنها تحتاج تفكيراً عميقاً وجهوداً متضافرة ، وزمناً طويلاً وقد يقصر حسب الظروف ، ولكن الخطوة الأولى ينبغي أن تكون من جانبهم ، ومن الله التوفيق بعد ذلك ، وعلينا وعلى العالم الإسلامي أن يساعد بقدر المستطاع لإظهار الأخوة الإسلامية التي نعتز بها في كل حين . ولقد اهتمت إلى حل عملي قدمته لهم جميعاً في صورة اقتراح قبلوه بالاجماع ، والخصه فيما يلي :

مقترحات

تلك الحالة التي يرثي لها - من النقص الفاضح في التعليم في جميع مراحله وبجميع أنواعه - دعني إلى أن أفكر طويلا في أقوم السبل التي تساعد المسلمين على النهوض بثقافتهم كلها وعلى وجه عام . فتمد تبين أنه من غير الميسور أن نحاول النهوض بتعليمهم الديني وحده مهملين الجانب الآخر من التعليم ، لأن الكتائب الموجودة ، وهي نواة العلم الديني والعربي تصعب بل تستحيل مساعدتها في وضعها الحاضر ، وإذا نظمت وعدلت مناهجها وعين لها المدرسون الأكفاء لاستكمال جمع المال الكافي لذلك . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن المسلمين حريصون على أن ينال أبناؤهم أكبر قسط ممكن من التعليم المدني السائد في الدولة ، لا يتمكنوا من العيش فيها لحسب ، بل ، ومن يدري ما يخبئه المستقبل ؟ لينفتح لأبنائهم مجال العمل في الحكومة . ولعل ذلك يكون من الأحلام التي تحتملها الأيام .

فما هو أيسر السبل ، إذن ، الذي تتمكن من أن نجتمع فيه بين الدراسات المدنية والدينية ، ونفشي به مدارس أولية وثانوية تسد حاجة المسلمين التعليمية ، وتؤهلهم للدراسات الجامعية العامة ، وفي القسم العربي من جامعة الكاب ، أو للدراسات في جامعة فواد الأول مثلا أو في الأزهر ؟

ذلك هو السؤال الذي ألخص الإجابة عنه فيما يلي :

لا شك أن تفرق كلمة المسلمين هناك وانشغال كل طائفة أو فرد بشئونها أو شئونه الخاصة مسئول إلى حد كبير عن هذا الوضع الذي وجد المسلمون فيه اليوم أنفسهم . فهم اليوم حقا يلجأون للحكومة لتساعد في الناحية التعليمية ، أو لمصر أو لأي بلد إسلامي آخر . ولكن الذين يطلبون المساعدة أفراد قد لا يمثلون إلا أنفسهم أو مجموعة ضئيلة من طائفتهم ، ولذلك لا يستمع إلى نداءهم ولا يلتفت إلى شيء

من التماساتهم . أفليس من الأجدي ، إذن ، أن يتقدم المسلمون كتلة واحدة ، ويحددوا ما يريدون ، ثم يطلبون ما عقدوا العزم عليه ؟ وهل من الهين على حكومة ما أن تتجاهل رغبات جالية تزيد عن مائة ألف نسمة ما دامت على قلب رجل واحد ؟ وهل يقدر العالم الإسلامي أن يتجاهل رغبات مثل هذه الجالية ؟ فيجب على المسلمين هناك إذن أن يتكثروا ويتقدموا كتلة واحدة ذات رأى واحد ما دام الهدف واحداً : هو النهوض بمستواهم التعليمي .

لذلك اقترحت على كل ولاية أن تؤلف من بين جمعياتها وأعيانها وأرباب التفكير فيها مجلساً يسمى « **مجلس التعليم الإسلامي** » تنحصر مهمته فيما يلي :

١ - الاتصال بالحكومة لإيجاد أكبر عدد ممكن من المدارس الأولية والابتدائية التي تسع أبناء المسلمين جميعاً ، وجمع بعض الأموال من المسلمين لهذا الغرض إذا احتاج الأمر إلى ذلك .

٢ - الاتصال بالحكومة لجعل الدين الإسلامي مادة إجبارية تدرس في هذه المدارس على غرار ما تفعله مدارس الحكومة ومدارس الكنيسة بالنسبة للبروتستانتية . وبهذا تسنح الفرصة لكل طفل بأن يدرس في الصباح دراسات دينية ساعتين على الأقل في الأسبوع الواحد .

٣ - الإبقاء على نظام السكتاتيب المسائية على أن يعاد تنظيمها ؛ ويكتفى في الوقت الحاضر بأن تجعل الدراسة فيها ساعتين فقط مقسمة على ثلاثة دروس وفسحتين بينهما تفادياً لإرهاق الطلاب . وتدرس فيها عدة مواد بدل مادة واحدة . فتدرس فيها مبادئ اللغة العربية ومبادئ الدين والتاريخ الإسلامي ، ويحفظ فيها شيء من القرآن الكريم .

٤ - قبيل الانتهاء من المرحلة الأولى بدراساتها الصباحية والمسائية سيلاحظ المجلس ، أو من يعينه المجلس ، أن بعض هؤلاء الطلاب أقوى أو أكثر ميلاً من

غيرهم نحو الدراسات العربية والإسلامية . هؤلاء يكونون النواة الأولى للدراسات العربية والإسلامية في المرحلة الثانية من التعليم .

٥ — يركز المجلس اهتماماً خاصاً على هذا العدد من الطلاب ، فيهيئ له ، مثلاً ، دروساً خاصة في هذه الدراسات ، أو يسمح له ، بعد إتمام المرحلة الأولى ، بعام إضافي يدرسها فيه بحسب ، ليستطيع متابعتها في المرحلة الثانية .

٦ — يتصل المجلس بالحكومة لإيجاد أكبر عدد ممكن من المدارس الثانوية للمسلمين أو التي تقبل المسلمين ، ويجمع لذلك ما يقدر أن يجمعه من المال إذا اقتضى الحال ذلك .

٧ — يتقدم المجلس للحكومة ويطلب إليها أن تقبل اللغة العربية في مدارسها الثانوية وتعتبرها لغة اختيارية فيها يدرسها من يريد من الطلاب ، كما هو الشأن بالنسبة للغات الأوروبية من اللاتينية والألمانية والإيطالية وغيرها . وبما أن هذه مسألة هامة قد تستدعي جدلاً طويلاً ، فقد اتصلت بالرئيس الأعلى للتعليم في ولاية الكاب ، وشرحت له وجهة نظري . وبعد أن أجبني على ما أثار من اعتراضات تتعلق بالمنهج والمدرس وفصول الدراسة والامتحان ، وعد بأنه إذا تقدم إليه المسلمون بمثل هذا الطلب ، وكان عندهم من الطلاب الراغبين في الدراسات العربية ما يكفي على الأقل لفصل واحد ، فإنه سيعمل من جانبه على قبول الفكرة وتنفيذها .

٨ — فإذا تمت الفكرة ، ونال بعض الطلاب شهادة البكالوريا في اللغة العربية وغيرها ، عمل المجلس من جانبه على تنفيذ فكرة إنشاء كرسى الدراسات العربية في جامعة الكاب ، فينتسب إليها الطلاب في هذا القسم أو غيره ، أو يسافرون إلى الأزهر للتخصص في الدراسات العربية والإسلامية ، أو إلى واحدة من جامعاتنا المصرية لدراسة ما يشامون من مواد .

وبذلك نكون قد نجحنا في عدة مسائل أخصها ما يلي :

(أ) إيجاد جيل قوى منهم يجيد اللغة العربية والدراسات الإسلامية وهذا الجيل يمكن أن يستغل ، بعد تخرجه ، استغلالاً طيباً في هذه البلاد .

(ب) المساعدة على إنشاء كرسى للدراسات العربية في جامعة الكاب . وذلك كسب عظيم ، لأنه يرفع ، على الأقل ، الروح المعنوية للمستلبيين هناك .

(ج) تفادينا لإرسال الصغار من أطفالهم إلى خارج البلاد .

هذا ، وعلى الرغم من أن الدراسات العربية في جميع مراحل التعليم ، تشمل بلا مراء قدراً كبيراً من الدراسات الإسلامية ، وقد تطنى الأخرى على الأولى في بعض الأحيان ، غير أنه ينبغي أن تظل محتفظة باسم الدراسات العربية تفادياً لكثير من المشاكل التي قد تثار نتيجة لتسميتها بأى اسم آخر .

كذلك أبدت الرغبة في أن يكون هدف المجلس تعليمياً لا سياسياً خوفاً أن تعارض فيه الحكومة أو يخفق من أول الأمر ، وأن يكون تعليمياً دينياً وعربياً ، من غير أن يكون له شأن بالمنهج المدني الذي ترعاه الحكومة ، بل يخضعون في هذا الصدد لمناهج الحكومة ، لا لأنهم سيعتمدون عليها مالياً لحسب ، بل لأنهم كذلك في حاجة ماسة لأن ينسجموا في هذا السبيل مع الشعب الذي يريدون أن يعيشوا فيه .

ذلك هو الاقتراح العمل الذي وضعته أمامهم ، ويسرني أن أقول أنهم قبلوه بالاجماع وبحماس شديد . وقد كونت ولاية الكاب مجلسها وأنا هناك . وقد أخذت الولايتان الأخريان في تكوين مجلسيهما . ولكن منعنى ضيق الوقت أن أستمع معهم حتى يتم هذا التكوين .

ولقد ذهبت خطوة أبعد من ذلك ، وقدمت اقتراحاً آخر ينفذ بعد الأول . فطلبت إلى المسلمين أن لا يكتفوا بهذه الوحدة الخاصة بالولايات المختلفة ، بل ينبغي أن يفكروا جدياً في أن تجتمع المجالس الثلاثة - مجلس الكاب ، ومجلس النताल ،

والمجلس التأسيسي - وتكون من بينها مجلساً واحداً يسمى « المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي »؛ وتنحصر مهمته في المشاكل التعليمية لمسلمي الاتحاد على وجه عام ، ولكن في المرحلة العليا منه تحسب . ويلاحظ أن هذا المجلس سوف لا يلغى المجالس الأخرى ، بل يعمل كل في دائرته ، كما أن هذه المجالس سوف لا تلغى بدورها ما قد يكون هناك من جمعيات خاصة ، دينية كانت أو سياسية .

وقد تمت اقتراحاً آخر لبيحه هذا المجلس الأعلى حين يكون : هو أن يعمل على تكوين « معهد للدراسات العليا » في مكان من الاتحاد يحدده المجلس : يفد إليه بعض طلاب البكالوريا المتخرجين من القسم العربي في الدراسات الثانوية ، ومن يجيد العربية من الأقطار المجاورة مثل رومانيا ، والكونغو ، وموزمبيق ، وغيرها من البلاد المجاورة . وتكون مهمة هذا المعهد تخريج علماء للتدريس في المدارس الثانوية هناك ، وتخرج أئمة للمساجد ، ووعاظ ، ومبشرين ، ويدرب آخرين على أعمال الوثائق وتعتمد عمود الزواج .

ولقد وجدت الفكرة لها قبولاً حسناً ، ورغب بعضهم في أن أظل هناك حتى يتم المشروع كله ، غير أنني اعتذرت لضيق الوقت راجياً لهم كل توفيق .

حاجة المسلمين هناك

من كل ما سبق يتبين أن المسلمين في حاجة إلى :

١ — أئمة ووعاظ مثقفين بالثقافات الدينية وبالدراسات العصرية ، لا يتمكنوا من تثقيف المسلمين تثيرياً صحيحاً ، ومن تطهير معتقداتهم من العادات التي علقت بها لحسب ، بل يتمكنوا كذلك من دفع الشبه التي تثار أو يمكن أن تثار هناك ضد الإسلام بأسلوب يفهمه الرجل الحديث . ولقد قابلت هناك بعض الأوربيين الذين أسلموا حديثاً بوازع نفس نتيجة لدراساتهم الخاصة ، فليست حاجتهم الشديدة إلى من يرشدهم ارشاداً قوياً . فقد أخذوا بعص العادات التي لم تهضمها عقولهم على أنها جزء من الدين ؛ وكانوا ، من جراء ذلك ، في قلق شديد . فلما علموا مني أنها لا تمت إلى الدين بصلة استراحوا واطمأننت قلوبهم . انهم لم يتركوا دين الآباء إلا لأنها ناقضت عقولهم وألغت تفكيرهم . فلما وجدوا في الإسلام انسجاماً مع العقل والمنطق قبلوه ، ولكنهم صودموا ببعض العادات التي لصقت بالدين ، ولكنها تتجافى مع حكمته واتزانه . ومن ثم كانت الحيرة وكان التردد . ولقد طلبت إلى من قابلني من هؤلاء أن يتصل بي كلما عنت له مشاكل حول الإسلام . ولا يزال المبشرون يستعملون أساليب الاغراء والتهديد والتشكيك ووضع العقبات في سبيل المسلمين لتحويلهم إلى مسيحيين ، فوجود المثقفين بينهم قد يخفف من حدة هذه الحرب أو من شدة وقعها على النفوس .

٢ — مدرسين ليقوموا بالتدريس في مرحلة التعليم الأولية المفتوحة لهم الآن ، وفي مراحلها الثانية والعالية التي ستيسر لهم قريباً حين ينفذون الاقتراح الذي تقدمت به إليهم .

٣ — معلمين لتدريب من سيشغل منهم في مهنة التدريس . وسأشير إلى هذه الفقرة ثانية في مكان آخر .

٤ — كتب دينية وعربية ومصاحف . وحاجتهم لتلك الكتب شديدة المساس ، لأنها منعدمة بينهم . بيد أن الكتب العربية وحدها عديمة الجدوى ، لأن الذى يفهم العربية منهم يقل عن واحد فى كل ألف بكثير . فخذوا لو ترجم لهم بعض الكتب الضرورية إلى اللغة الانكليزية : فختار مجموعة منها ثم ترجم هنا أو هناك ، على أن ترسل لهم تراجم معترف بها لتفسير القرآن كذلك .

٥ — المساعدة على إنشاء مركز ثقافى هناك ومعهد للدراسات الإسلامية .

٦ — المساعدة على بناء مناجد جديدة وعلى ترميم الموجود منها .

تلك هى حاجاتهم التى تستتج من دراسة ما هم عليه من أوضاع ، والتى يسمعها الإنسان على كل لسان . وتلك حاجات حقيقية ، ولكنى أعتقد أن كثيراً منها يمكن أن يمتضى من غير حاجة لإعانة خارجية سوى شئ من التوجيه ، وأن بعضها يحتاج بلا مرأى إلى المعونة الخارجية . فلننظر الآن فى تلك الحاجات لئرى ما يحتاج إلى العون الخارجى منها وما يمكن قضاؤه منها فى الداخل .

أما فى مرحلة التعليم الأولى فيخيل لى أنه يصعب علينا أن نساعدهم فيها بغير التوجيه ، فليس من المتيسر أن نرسل جيشاً من المدرسين يكفى لتغذية هذه الآلاف المؤلفة من الكتاتيب والمدارس الخاصة . ولو وجد عندنا المال والرغبة لعجزنا عن إيجاد مثل هذا العدد الذى ينبغى أن يجيد اللغة الانكليزية فوق صلاحيته الفنية للتدريس . فلا بد لهم من أن يكتفوا بالقدر الموجود عندهم من المدرسين . على أن المشروع الذى تقدمت به كفيل بأن يحل قدر كبيراً من المشكلة . ذلك أنه يوجد بالبلاد عدد كبير من المسلمين الذين يصلحون للتدريس ، ولكنهم لا يشتغلون به الآن لسبب واحد : هو أن الجمعيات الخاصة والمدارس الأهلية لا تعطى من المرتبات ما يكفل لهم حياة كريمة . ولكنهم سيجدون مجالاً فسيحاً فى المشروع الجديد ، لأن المدارس فيه ستكون حكومية أو معانة من الحكومة وتحت إشرافها العام ، وستكون

المرتبات فيها موازية لسائر مرتبات المدرسين . وليس ذلك خيالا ، لأن الحكومة تقوم بذلك بالفعل بالنسبة لبعض مدارس المسلمين : تدفع أجور المدرسين ومصاريف المدرسة كلها ، وتدفع في بعض الأحيان أجور البناء البالك المسلم ، ولا تشترط من الشروط غير الرقابة العامة ، وغير فنية المدرسين ، وأن تقبل المدرسة من يتقدم إليها من غير أبناء المسلمين ما دام فيها متسع .

أما في المرحلة الثانية فإنها ستبدأ ، حين تبدأ ، على نحو ضيق ، لا يزيد على فصل أو فصلين في كل ولاية من الولايات الثلاث . ولا شك أنه لا يوجد من بينهم من يصلح لتدريس اللغة العربية والمسائل الإسلامية في المرحلة الثانية إلا عدد قليل . وقد لا يوجد من يصلح في الوقت الحاضر . لذلك ينبغي أن تساعد مصر في هذا الصدد حين يبدأون هذا النوع من التعليم . ولكن الخطوة الأولى ينبغي أن تأتي من جانبهم .

كذلك الشأن بالنسبة لمرحلة التعليم العالي ، سواء أكان ذلك في جامعة الكاب أم في المركز الإسلامي الذي أشرت إليه . فليس لديهم في الوقت الحاضر من يصلح للتدريس فيها أو للإشراف عليها ، لذلك ينبغي أن تكون إدارتها العلية والتدريس فيها ، حين تتم ، في أيدي رجال مصريين ممن لهم معرفة تامة بالدراسات الإسلامية واللغة العربية ، ويجيدون اللغة الانكليزية .

غير أنه يمكن من الآن إرسال بعض المدرسين ليعمل على تربية شبان وتأهيلهم ليقوموا بتدريس الدين واللغة العربية في المدارس الموجودة هناك بالفعل ؛ وهذه فكرة مقبولة لديهم وهينة التنفيذ ، ولقد حاول المسلمون في « دربان » ، تجربتها في العام الماضي ، فاستدعوا الأستاذ أشراط حسين من علماء الهند ، فقدم وظل يعمل هناك أكثر من عام ، وكان لعمله خير النتائج ، وإمكانه اضطر للسفر أخيراً تحت ضغط عوامل خارجية ، ولقد علمت من هؤلاء المسلمين بنوع خاص

أنهم سيكتبون للأزهر راجين أن يرسل إليهم واحداً من العلماء أو أكثر من واحد ليقوم بتلك المهمة : مهمة التدريب .

ولاني أعتقد أن فكرة تدريب المدرسين هناك فكرة طيبة لأنها تؤدي إلى الغاية المرجوة ، سواء أكانوا قادرين على تنفيذ المشروع الذي اقترحته عليهم الآن ، أم غير قادرين على تنفيذه . لهذا لو فكرنا في هذا الموضوع جدياً ، وعلى نحو يشمل الولايات كلها ولا يختص ، بدربان ، فقط التي يفتقر أن تتصل بنا في هذا الصدد .

هذا ، وأما الأئمة للساجد فلست أرى وجها لإرسال أحد من مصر في الوقت الحاضر ، لأن لكل مسجد هناك إمامه ، وهو يرتبط في الغالب بأواصر القرابة أو النسب بأفراد الجالية التي يؤمها . على أنهم يقومون بمهمتهم التي وكلت إليهم على أحسن وجه يستطيعونه ، ولست أذيع هنا سراً إذا قلت أن كثيراً من المتفقه ورجال الدين يخشى النهضة التي قد تكون على حسابهم ، ولكني أرى أن كل حركة إصلاحية لا بد لها ، ليتأتى لها النجاح ، أن تنفع بأمثال هؤلاء ، وتعمل على إرضائهم .

أما الوعاظ والزوار الذين يزورون هذه البلاد بين الفينة والأخرى فأرى أنه ضروري ولازم للأسباب التي ألمعت إليها سابقاً . غير أن إجادة اللغة الانكليزية لأحدى الضرورات التي ينبغي أن تتوافر في الزائر أو الواعظ ، فوق ما يتصف به من غزارة العلم وقوة الحججة وپهارة الخاطر والزهد والعفة . كذلك ينبغي أن توفر له الدولة ما يحفظ عليه كرامته ويمكنه من الإقامة في فنادق الأوربيين أثناء زيارته لتلك البلاد .

كذلك الشأن بالنسبة للكتب والمصاحف . فحاجتهم إليها ماسة ، ولا يتمكنون من طبعتها هناك أو استيرادها من غير مصر .

وأما المال لبناء المساجد وتعميرها ، فيخيل إلى أن الناس هناك يقدرون على أن يعملوا كثيراً ، إذا ما نظمت وجوه الخير ، وتضامنوا فيما بينهم تضامنا أكثر مما هو واقع الآن .

من كل ذلك يتبين أن حاجتهم إلى التوجيه ولم " الشمل أكثر منها إلى أي شيء آخر ، وأنه لو وجد الموجه الصالح واستصحب معه قليلا من المساعدة التي أثرت إليها ، ووجدت منهم الرغبة الصادقة في التعاون معه — وتلك على ما اعتقد موجودة — لا نخلت مشاكلهم التعليمية في عدد قليل من السنوات . ولست أبالغ إذا قلت ولا نخل ، بالتالي ، كثير من مشاكلهم الاجتماعية والسياسية .

والله

أ. م. ع. م.

م. م. م. م.

م. م. م. م.

م. م. م. م.

م. م. م. م.

م. م. م. م.

م. م. م. م.

م. م. م. م.

م. م. م. م.

م. م. م. م.

م. م. م. م.

م. م. م. م.

م. م. م. م.

م. م. م. م.

المسلمون ومصر

تلك هي آمالهم وآمانهم من الناحية الثقافية ، وما أظنه يمكن التنفيذ منها . وهم ينظرون إلى مصر نظرهم إلى المعين الأول بل المعين الأوحد الذي يمكن أن يستمد منه ، والزعيم الإسلامى الذى ينبغى أن يتفقد من تزعيمه ، وخاصة ، وقد حباها الله بالأزهر الشريف مهد الدراسات العربية والإسلامية من ألف سنة أو يزيد ، والحفيظ عليها من أن يصيبها وهن أو ضعف فى أحلك عصور التاريخ ، وحباها كذلك بعاهلها العظيم وقائدها الكبير جلالة الفاروق الذى يسر جلالاته أن يرى الأزهر وارث الظلال ، منتشر النفوذ فى الآفاق ، ويمتد الأثر امتدادا يجعل المسلمين ، فى جميع أنحاء المعمورة ، ينعمون به فى ظل ثقافته الظليلة .

وفى الحق أن هؤلاء النعم يحبون مصر ومليكها حباً جما ، ويتحدثون عن جلالاته بأنه قائدهم الأعلى ، ومليكهم المفضل ، وحامى حى الإسلام . ولذلك يحتفلون بأعياد جلالاته ، ويعتبرونها أعياداً لهم ومواسم .

ولانى أشاركم الرأى فى أنهم لا سبيل لهم فى الوقت الحاضر إلا أن يفزعوا ، بعد الله ، إلى مصر وإلى جلالة قائدها المحنك الملك ، فاروق الأول ، لينخصهم بلفتة منه كريمة ، تنهضهم ، وتنهض بهم ، وتحفظ عليهم ما يعتزون به من مجد تالد ، وتراث خالد .

حفظ الله الملك وأبناؤه قويا عاملا لخير الإسلام والمسلمين ؟

محمود حب الله

من علماء الأزهر

٥ ذى القعدة سنة ١٣٧٠
٨ أغسطس سنة ١٩٥١

القاهرة

دكتور فى الفلسفة من جامعة لندن وأستاذ
الأخلاق وعلم النفس بكلية أصول الدين

1874

1875

1876

1877

1878

1879

1880

1881

1882

1883

1884

1885

1886

1887

1888

1889

1890

1891

1892

1893

1894

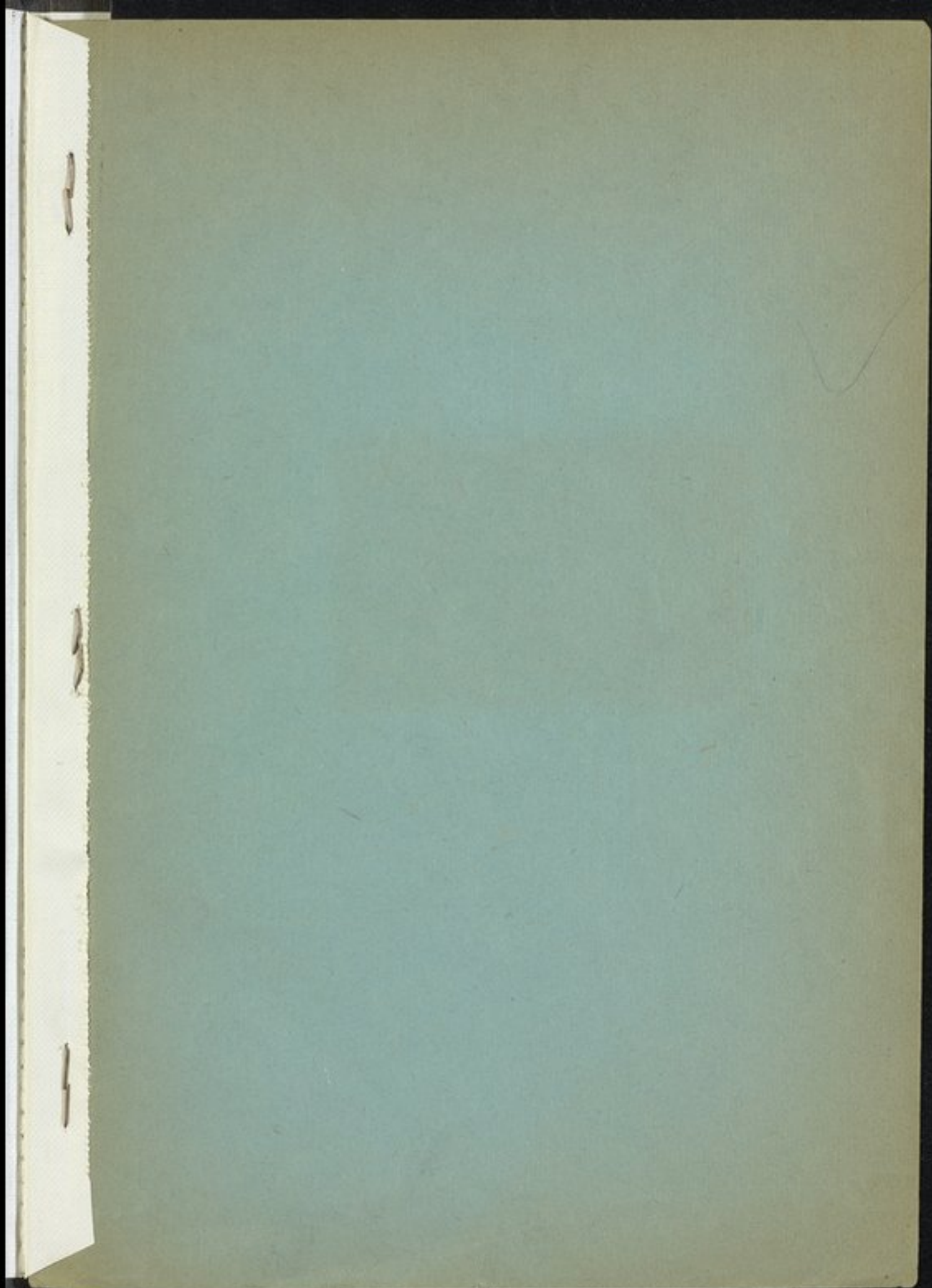
1895

1896

1897

1898

1899



LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 072545922

(NEC)

BP64

.A1

H833

1951

32101 072545922